

أضواء البيان

@ 182 . قوله تعالى : { وَإِذْ آتَيْنَاهُمْنَا الْإِنْسَانَ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ
بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا } . بين جل وعلا في هذه الآية
الكريمة : أنه إذا أنعم على الإنسان بالصحة والعافية والرزق أعرض عن ذكر الله وطاعته ،
ونأى بجانبه : أي تباعد عن طاعة ربه . فلم يمثل أمره ، ولم يجتنب نهيه . .
وقال الزمخشري : أعرض عن ذكر الله كأنه مستغن عنه ، مستبد بنفسه . { وَنَأَىٰ
بِجَانِبِهِ } تأكيد للإعراض . لأن الإعراض عن الشيء أن يوليهِ عرض وجهه . والنأي بالجانب
: أن يلوي عنه عطفه ، ويوليهِ طهره ، وأراد الاستكبار ، لأن ذلك من عادة المستكبرين .
واليؤوس : شديد اليأس ، أي القنوط من رحمة الله . .

وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في مواضع كثيرة من كتابه ، كقوله (في سورة هود) {
وَلَئِنَّ أَزْوَاجَنَا لِلْإِنْسَانِ مِّنْذَارٍ رَّحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِذْ
لَا يَتَذَكَّرُ كَفُورٌ وَلَئِنَّ أَزْوَاجَنَا نَعْمٌ مَّا آتَىٰ بَعْدَ ضَرْبِ آءٍ مَّسَّتْهُ
لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِذْ يَئُوسُ كَفُورٌ } ، وقوله (في
آخر فصلت) : { لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ
فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ وَلَئِنَّ أَزْوَاجَنَا رَحْمَةً مِّنْذَارٍ مِّنْ بَعْدِ ضَرْبِ آءٍ
مَّسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَآذَا لِي وَمَا أَطُنُّ الشَّعَاعَةَ قَائِمَةٌ وَلَئِنَّ
رَبِّي جَعَلْتُ إِلَٰهِي رَبِّي إِنْ لِّيَ عِنْدَهُ لِلْأَحْسَنِ فَلَئِنَّ ذِي السَّيِّئِ
كَفَرُواوًا بِمَا عَمِلُواوًا وَلَئِنَّ ذِي الْقُرْبَىٰ هُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ وَإِذْ
آتَيْنَاهُمْنَا الْإِنْسَانَ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ
فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ } ، وقوله : (في سورة الروم) { وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ
دَعَاوُا رَبَّهُمْ مُّخْلِطِينَ إِلَٰهِيَهُمْ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً
إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } ، وقوله فيها أيضاً : { وَإِذَا
أَزْوَاجَنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواوًا بِهَا وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا
كَدَّوْا أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ } ، وقوله (في سورة يونس) : { وَإِذَا
مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبَيْهِ أُوهُ قَائِمًا فَلَمَّا
كَشَفْنَا عَنْهُ غُصْرَهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ مَسَّهُ } ، وقوله
(في سورة الزمر) : { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ
ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ }

وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّیُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ { ، وقوله فيها أيضاً : {
فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا زِلَازًا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْ دُونِهَا
قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَآكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
یَعْلَمُونَ } . إلى غير ذلك من الآيات . .

وقد استثنى □ من هذه الصفات عباده المؤمنين في قوله (في سورة هود) : { إِلَّا
الَّذِينَ صَبَرُوا° وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ°
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } كما تقدم